تفسير السعدي

فَاتَّ قُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِلْأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولِئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ

يأمر تعالى بتقواه، التي هي امتثال أوامره واجتناب نواهيه، ويقيد ذلك بالاستطاعة والقدرة.فهذه الآية، تدل على أن كل واجب عجز عنه العبد، أنه يسقط عنه، وأنه إذا قدر على بعض المأمور، وعجز عن بعضه، فإنه يأتي بما يقدر عليه، ويسقط عنه ما يعجز عنه، كما قال النبي صلى االله عليه وسلم: " إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم ".ويدخل تحت هذه القاعدة الشرعية من الفروع، ما لا يدخل تحت الحصر، وقوله: { وَاسْمُعُوا } أي: اسمعوا ما يعظكم االله به، وما يشرعه لكم من الأحكام، واعلموا ذلك وانقادوا له { وَٱطِيعُوا } االله ورسوله في جميع أموركم، { وَٱنْفِقُوا } من النفقات الشرعية الواجبة والمستحبة، يكن ذلك الفعل منكم خيرًا لكم في الدنيا والآخرة، فإن الخير كله في امتثال أوامر االله تعالى وقبول نصائحه، والانقياد لشرعه، والشركله، في مخالفة ذلكولكن ثم آفة تمنع كثيرًا من الناس، من النفقة المأمور بها، وهو الشح المجبولة عليه أكثر النفوس، فإنها تشح بالمال، وتحب وجوده، وتكره خروجه من اليد غاية الكراهة.فمن وقاه االله شر شح نفسه بأن سمحت نفسه بالإنفاق النافع لها { فَا وَلِئكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } لأنهم أدركوا المطلوب، ونجوا من المرهوب، بل لعل ذلك، شامل لكل ما أمر به العبد، ونهي عنه، فإنه إن كانت نفسه شحيحة. لا تنقاد لما أمرت به، ولا تخرج ما قبلها، لم يفلح، بل خسر الدنيا والآخرة، وإن كانت نفسه نفسًا سمحة، مطمئنة، منشرحة لشرع االله، طالبة لمرضاة، فإنها ليس بينها وبين فعل ما كلفت به إلا العلم به، ووصول معرفته إليها، والبصيرة بأنه مرض الله تعالى، وبذلك تفلح وتنجح وتفوز كل الفوز.